إضاءة

أطوار قصيدة النثر العربية

نصوصٌ تأسيسية تريد أن تكون اللغةَ نفسَها [2/1]

كشفت قصيدة النثر، في أساسها كتجربة، عن إلهام يحمل خطاباً مزدوجاً يريد أن يقول الشعر ونقده في آنٍ واحد. هي قصيدة تتحدّى إنكارَ أصلها إلى إنكار نفسها

عباس بيضون

لن تصدر قصيدة النثر، في طورها الأوّل عن أيّ سابقة، ولم يكن في اللّغة أيّ استعداد لها. بدت، لأوّل وهلة، لطمةً لها، نوعاً من مفاجاتها لنفسها. المفاجأة جعلتها تنتهي إلى مسارين مزدوجين. الأول ترجيح وإسالة ونسج قرانيّ لإيقاع أصلي، يُفترض أنّه بناء لنصّ تأسيسيّ هو فصاحة واحدة، نموذج اللّغة وهيكلها الضمني والداخلي، من ناحية أخرى كان المسار الثاني ارتطاماً بهذه الفصاحة، وخروجاً عنها، وما يتركه ذلك من غرْي إيقاعي، وفقدان شبه تام للغناء. نحن هكذا أمام مسارين، هما، على اختلافهما، بل وتعاكسهما، ينتهيان إلى محلّ واحد تقريباً. إنّه نوع من «سريلة» خاصة، فالإلهام السريالي في أساس التجربة كلّها. من هنا فإن النماذج الأولى لقصيدة النثر تبدو، من ناحية ما، نقداً للشعر أو نظرية فيه. نحن هكذا أمام اللغة، التي هي ذخيرتنا القومية. أمام مسارين أولهما الترجيع وإعادة كتابة النص التأسيسي، النص الذي هو اللغة في مثولها وإعادتها إلى ما يفترض أنّه أصلها ونموذجها الأول. فالقصيدة هنا تقول اللّغة، تقول نفسها، تقول الشعر ونقد الشعر.

بينما، في المسار الثاني، نقع على إنكار اللّغة، وإنكار فصاحتها الواحدة، وبالتالي الكتابة بلغة هي، من منطقها نفسه، لا لغةٌ. لغة لا تنكر أصلها فحسب بل تنكر أيضاً نفسها. بين المسارين، لأول وهلة تعاكُس، لكنّنا مع ذلك ننتهي إلى ما يبدو نتيجة واحدة تقريباً. إنّنا أمام نصوص كلّ منها يدّعي أنّه اللغة، وأنّه الشعر، وأنّه، في الوقت نفسه نقد الشعر ونظريّته.

نحن أمام الشعر وقد استحال إلى دعوة، وغدا النصّ نفسه، على نحو ما، في تدفّقه وبنائه على نفسه وترجيعه وعربه الإيقاعي، في كلّ ذلك النص، بل والشعر بعده، هما نظريّةٌ في الشعر وفي اللّغة، وتحويل لهما إلى دعوة، والبناء عليهما. قد يبدو الطفح اللّغوي أحد علائم قصيدة النثر في طورها الأول. هذا الطفح اللغوي هو بحد ذاته نقد للشعر ونقد للّغة، بل والبناء عليهما، بناء يحيل الفيضان اللغوي إلى نوع من بيان مستتر. بل ويبدو أن النثر البلاغي، أو العاري من البلاغة، هما معاً يجعلان من التدفّق والسيولة والترجيع نوعاً من رسالة أولية، من ترتيل واسترجاع لمقاصد مضمرة وخفية، وإن تبدّت في المسار الثاني إنكارية ورافضة (هذه الكلمة دارجة لدى شعراء هذا الطور).

هكذا تبدو السيولة والطفح والإسالة، كأنها الترتيل الخفي لبيانات ضمنية، أو هي توجيه اللّغة سلاحاً، واستعمالها كضجيج حربي وكوقع معارك قائمة. هذا من ناحية يمّتْ ولو من بعيد، إلى المعركة القومية وإلى اللغة بوصفها، من بعيد أيضاً، النشيد القومي الأول والأثر التأسيسي والأصلي. يمكن لنص مستفيض كالنصوص الأولى لقصيدة النثر، أياً كانت مقاصد وسياسة أهلها، أن يحلّ الاسترسال اللغوي، محلّ هذا التمثل والمحاكاة لما يفترض نصاً أوّلياً، شأنه في ذلك شأن كتاب أوّلي يستعاد كلّ مرة يُجري فيها العمل على اللّغة، أو استظهارها كمادة أولى لبناء أو استحضار أو إضمار نص تأسيسي.

لا بدّ أنّ نصوص قصيدة النثر الأولى لم تكن بعيدة عن ذلك. لقد كانت، في مساربها من هنا أو هناك، طامحة لأن تقول العالم، وتقول الدعوة، بل وتقول النص الأوّل والأصلي. لم يكن استرسالها وتوزّعها وتوزّع موضوعاتها وإيعازاتها ومقاصدها، بل وترتيلها الظنّي وترجيعها؛ لم تكن هذه إلّا لغة كاملة ودعوة شاملة، أو هكذا تكون نصّاً تاماً وأوليّاً وأصليّاً. لا بدّ من القول إنّ نسيج هذه النصوص وكتاباتها الفيّاضة وتواتر إشاراتها وإيعازاتها وطفحها النصوصي، جميعها من طموحها الضمني في طورها الأول، كانت، في آن معاً، هذا النقد للفصاحة، لكن إلى حدّ البناء على نموذجها الضمني أو خطابها غير المعلن.

هذا ما يبدو، لأول وهلة، مفارقاً ومليساً، فالقصيدة التي كانت، بوضوح، حربا على الفصاحة وتنصّلاً مباشراً منها، هي، في ذات الوقت، تبني على نموذجها وخطابتها الضمنية. في كلّ الأحوال تبدو هذه، وخاصة في مسارها الأول، غير قادرة على التنصّل من بلاغية قائمة وخطابة ضمنية. على دعوة تتحول معها قصيدة النثر وخاصة في مسارها الثاني، إلى دعوة وإلى لغة استفزازية جازمة وضاربة وعاصفة. أي أنّ لها، على نحو ما، وجهاً خطابياً مستتراً.

يمكننا هكذا أن نتميز أن قصيدة النثر الأولى كانت، من هذه الناحية، تُجاري النص التأسيسي، ولا تتخلى عنه، في بلاغته، من عنف دعوي، ومن تنديد ونقد وأمر جازم. كلّ ذلك، بنوع من طلاقة واسترسال، تبقى العبارة معهما على ساق العبارة الأخرى، وتبدو هكذا لحناً متواتراً، حتى حين يحلّ الجفاف والأمر والتنديد، وإيقاعاً آخر للنثر يستكشف ما في النثر من خطابة قائمة. يمكن أن نفهم هكذا أنّ قصيدة النثر، في طورها الأول، لا تخرج كلّيا عمّا في النصّ التأسيسي، من نموذج يتردّد بين الهداية والوعيد.

(شاعر وروائي من لبنان)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

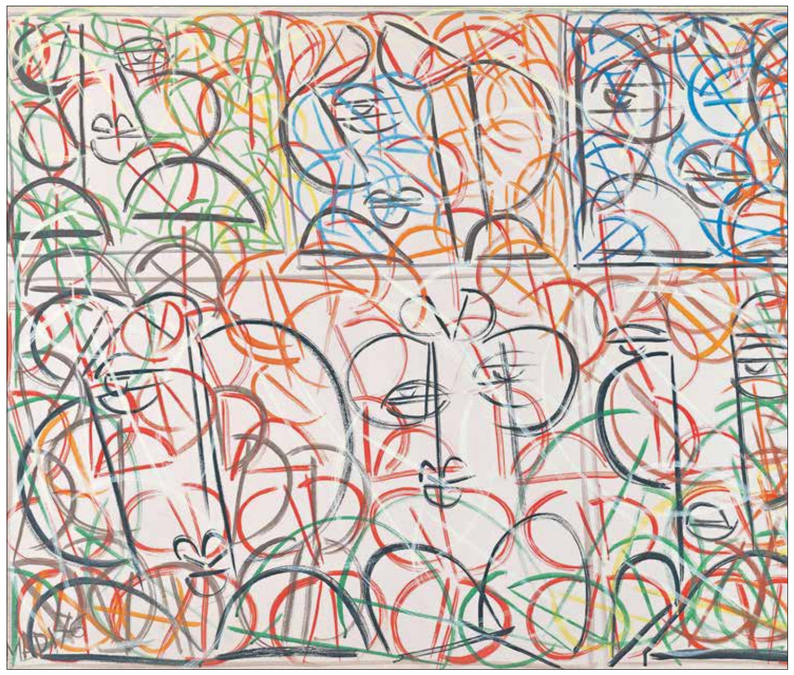

عمل لـ حسين ماضي

قصيدة النثر كانت طامحة لأن تقول النص الاول والاصلي

القصيدة التي كانت حربا على الفصاحة بَنَت على خطابتها

بين الهداية والوعيد

يمكن أن نفهم هكذا أنّ قصيدة النثر، في طورها الاول، لا تخرج كلّيا عمّا في النصّ التأسيسي من نموذج يتردّد بين الهداية والوعيد. اي انها، في الحالين، تتابع خطابة ظاهرة او ضمنية، لكنّ النص، مع ذلك، يبقى على حاله من التمام ومن الشمول، ومن الخلاصيّة، ومن الدعوة. اي انّ النص يبقى، مع ذلك، على الميل نفسه لان يكون تأسيسيا وكاملا. من هنا تبدو قصيدة النثر في طورها الاول دعوة الى قصيدة النثر، وكفاحا في سبيلها.

تحريب

مَنْ قالَ إنّ الصوت لا يُروى؟

مصعب ابو توهة

(إلى حُسين البرغوثي، في ذكرى ميلاده)

«ما زلتُ أسمع ذلك الصوت،
حتى في قبري»
يقول حسين.

ذلك ليس صوت الغرير
هو صوتك طفلاً.
تاه في البرية
لمّا تركتكَ ثلاثين سنة يرعى بين الضواري،
وبين أسلاكٍ شائكة بناها الصدأ على الحجارة.
منذ سفرك إلى سياتل،
أخبروه أنه أصبح زائداً عن الحاجة.
لم يَرْوِه أحدٌ في الصيف،
(من قال إنّ الصوت لا يُروى؟)
ولا غطّوا جسده المرتعش في الشتاء.
(تعرف الارتعاش؟ هو تَرَدُّدُ الصوت
في الفلوات).
صار يبكي أكثر يا حسين
عندما اقتربت طائرتك من عمّان،
كان يعرف أنك مريض.
بكى صوتك الطفلُ كثيراً لأن السرطان
لم يُعجِّل في موت جسدك فقط،
بل سرَّع في تلاشيه هو.
لقد قُطِّعت أحباله،
تلك التي تنمو مختبئة
محاذاة جذور اللوز.
ما زلت أسمع صوتاً قادماً
من الجبل البعيد:
يا حسين، ستكون يَرْيَّ ما تُريد
وسيظلّ صوتك يبحث عن اسم جديدٍ
بلا جذور.
(شاعر من فلسطين)

ذكرى ميلاد

شهادة حياة جديدة

جاء الغريب لينتزع منّا بسمة

يانيس ريتسوس

عندما يأتي الغريب
حينما كنّا منغلقين في الغرفة الكبيرة
ذات المرايا المغطّاة،
جاء ذلك، بلا دعوة، غريباً - ماذا كان يطلب؟
نحن لم نكن نرغب في أن نراه، أن نسمعه، أن نتعرّفه.
ثوبه المُغْبَرّ كان مدعاة للشفقة - لم نكن نحن مَن يطلب رحمة -
كان حذاؤه المتآكل يستدعي التعاطف، -
لم يكن عندنا نحن شيء لنُعطيه -
غريب، غير مدعوّ، ليس شريكاً لنا في حزننا،
جاء ليحزن علينا؛ خلف لحيته المغبرّة
كان ضوء نجوم الابتسامة يرتجف
برضا الشفقة هذا، بموافقة محنته القديمة، وكأنّه يقول: «وهذه أيضاً ستعبر»،
كالزنابير المطرّزة على حيطان البيوت العتيقة
تجمع بين حكمة تدبير شؤون البيت
وزهور من حرير متناقضة
ورود، وقرنفل، وزهرات الخالوث (لا البنفسج)
والأشرطة على مدار الجدران - المطرّزة الصفراء.
ماذا كان يريد؟
حتّى وإنْ كنّا نملك فَلْسَنا نريد أن نعطي شيئاً. فليدعونا أخيراً في حزننا المهيب،
المحترم، في موتنا،
في كبريائنا ألّا نجبن إزاء ظلال الأشياء.
فليَدعونا
نستهلك وضعيّة ركعتنا، سامعين السوس معزّياً في زوايا الصمت.
فليرحل، قلنا،
غريب، غير مدعوّ، مريب، -
كان يدّعي أنّه فقير لنؤمن بثروتنا،
كيلا يُخجلنا، كي يزشونا بتُمّه،
بنُحوله (وهو كان يبرز أضلعه العارية وصدره العريض)
لينتزع منّا بسمة من جديد، شهادة حياة جديدة.

[...]

من أين كان آتياً هذا الغريب؟ ماذا كان يطلب؟ هل كان دربُه
آتياً من الأمس أو من الغد؟ على شَعره المشّح
كان هناك رمادٌ وقطرات ندى - واضحٌ أنه مشى في الليل
وربّما يكون قد جاز في النار، تحت الجذوات. في صوته كنّا نسمع
صرير الباب عندما يفتحون ليمضوا
لنا شاياً ساخناً.
عندما تَكشط مناشر الحيّ الواحاً كبيرة
لورش بناء جديدة، عندما يتجمّع في ظلّ السياج، في ظهيرة الصيف،
المعلّمون والصنائعيّون والحرفيّون والعتّالون
ويتحدّثون عن أُجرة اليوم، مسهّلين الزمن،
مدوّرين الحياة إلى نصفّي كرة فقط متوازيَين تماماً
الواحد مضيء والآخر مظلم؛ وبعدها،
في الصمت القصير الذي يتخلّل، كانت
آخر ورقة من السنة الفائتة تُسمع وهي تنسلخ وتسقط عن الشجرة بضجيج
مرعب غير مسبوق بين ركابهم
بينما يستمرّون في حديثهم المحقّ عن الخبز والملح
أمّا الغريب فيتابع وحده بعيداً.

■■■

المرثيّة
يومٌ نوّارٍ هجرتني، يوم نوّار أفقدك،
في ربيعٍ يا ابني أحببتُه، كنتَ تصعدُ
إلى فوقٍ
إلى السطح، تنظر، وبلا أن تشبع
ترضع بعينيك نور المسكونة
كنتَ بأصبعك الممدودة تُريني
كلّ حلو، كلّ جميل، وشاحب ووردي
تُريني البحر يلتمع هناك كالزيت،
والأشجار والجبال في الوشاح الأزرق
والصغيرة الفقيرة العصافير والنمل
والعُشيبات،
وهذه المآسات وقد رَشَحَتْ جنبها الجزّة.
فيا بُنَيّ، وحين كنتَ تُريني النجوم
والكواكب،
كنتَ أشاهدُها أبهى في عينيك
البحريّتين.
وكنتَ تروي لي بصوت عذب، دافئ
رجوليّ
ما لغدِّه لا تكفي جصيُّ البحر
وتقول لي، يا ابني، إنّ هذي كلّها
ستصبح لنا،
والآن قد انطفأتَ وانطفا وهجُ نارنا.

* المقطع السادس من مرثية ريتسوس الشهيرة والتي تقع في عشرين مقطعاً. وقد لحّنه ميكيس ثيودوراكيس. القصيدة/ الديوان، من القصائد المناهضة للديكتاتورية وكتبت عام 1936 في زمن الديكتاتور يوانيس ميتاكساس.

(ترجمة عن اليونانية: روني بوسابا)

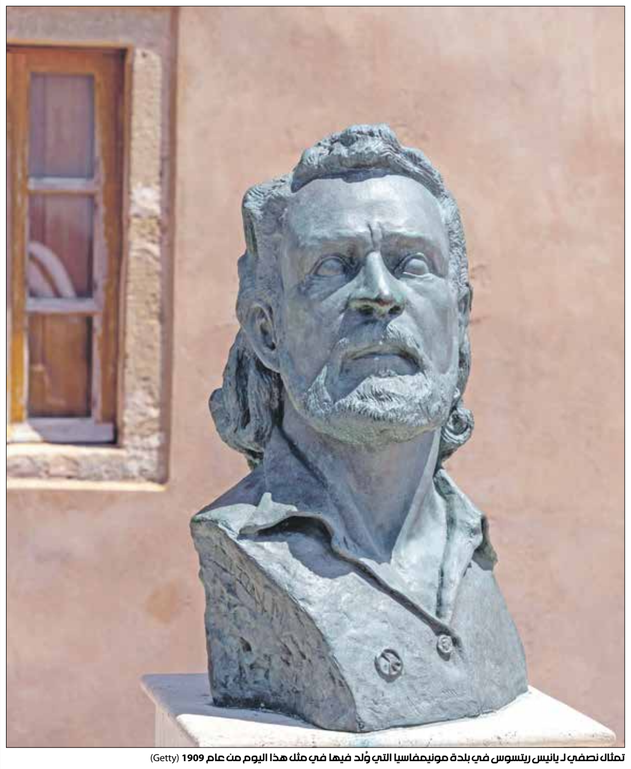

تمثال نصفي لـ يانيس ريتسوس في بلدة مونيمفاسيا التي وُلد فيها في مثل هذا اليوم من عام 1909 (Getty)

هموم شعرية

قوّة الشعر في ضعف تجانسه

مبارك وسّاط

تقف هذه الزاوية مع شاعر عربي في علاقته مع قارئه وخصوصيات صنعته، لا سيما واقع نشر الشعر العربي المعاصر ومقروئيته

الرباط ـ **العربي الجديد**

■ من هو قارئك؟ وهل تعتبر نفسك شاعراً مقروءاً؟

أعتقد أنّ قرائي هم من المهتمّين كثيراً بالشعر العربي الجديد، وبما يُسمّى في العالم العربي بقصيدة النثر. وأعتقد أني مقروء قليلاً، أو لنقل: إلى حدّ ما.

■ كيف هي علاقتك مع الناشر، هل لديك ناشر وهل هو الناشر الذي تحلم به لشعرك؟

نشرتُ مجموعاتي الشعريّة عند ناشرين مُختلفين. لذا لا أقول «إنّ عندي ناشراً»، منذ سنة وبضعة شهور، صدرتْ مجموعاتي في طبعة رقميّة عن «منشورات جبر»، ولاحظتُ أنّ هنالك إقبالاً على المجموعات في صيغها الرّقميّة.

■ كيف تنظر إلى النشر في المجلات والجرائد والمواقع؟

يحدثُ أن أنشر في مجلّات وجرائد ومواقع، كما لديّ مُدوّنة أنشر فيها كثيراً، يبدو لي ذلك مهمّاً، بل ضروريّاً.

■ هل تنشر شعرك على وسائل التواصل الاجتماعي، وكيف ترى تأثير ذلك في كتابتك أو كتابة زملائك ممن ينشرون شعرهم على وسائل التواصل؟

على وسائل التواصل الاجتماعيّ، وتحديداً على فيسبوك، أغلب ما أنشره من نصوص شعريّة هو مما سبق أنْ نشرتُه في مجموعات أو في مجلّات. لذا، فلا تأثير لتلك الوسائل على كتابتي.

■ من هو قارئ الشعر العربي اليوم في رأيك؟

قُرّاء الشّعر اليوم هم مَحبُوه طبعاً، ولا شكّ أنّهم قليلون. قارئ الشّعر هو إمّا شاعر أو من الطلبة أو الباحثين الشغوفين بالشّعر. في حالات نادرة، تجد شخصاً لا تتوقّع أنّ لديه اهتماماً بالشّعر، ثمّ تكتشف فيه عارفاً بالشّعر ومُحبّاً لاستكشاف عوالمه.

■ هل توافق أن الشعر المترجم من اللغات الأخرى هو اليوم أكثر مقروئية من الشعر العربي، ولماذا؟

قد يَصحّ هذا، فالشّعر العربيّ، إلى مرحلة قريبة، كان قد أُثقل كثيراً بالغنائيّة وروح الخطابة، وأحياناً بالنزوع العاطفيّ المبالغ فيه، وأجتاحته الضّيغ المكرورة؛ إلى حدّ أنّ النّصوص العربية التي نَأتْ بنفسها عن تلك الأساليب الكتابيّة أصبحت تبدو للبعض شبيهة بقصائد مُترجَمة!

■ ما هي مزايا الشعر العربي الأساسية وما هي نقاط ضعفه؟

ليس الشّعر العربيّ متجانساً في أيامنا هاته، وفي هذا أحد مكامن قوّته في رأيي.

■ شاعر عربي تعتقد أن من المهم استعادته الآن؟

لا يحضرني اسمٌ واحد، بل أسماء كثيرة، وهي حاضرة باستمرار بالنسبة لقرّاء الشّعر الجميل. فثمة شعراء من الجاهلية، ومن حقب أخرى تمتدّ حتّى يومنا هذا. إذ لا غِنى عن القراءة لهم وتجديد هذه القراءة. من آخر من أعدتُ قراءة شعرهم، جزئيّاً على الأقل، من القدامى، المُتنبّي العبديّ، وهذا من الأسماء الجديرة بكلّ اهتمام.

■ ما الذي تتمناه للشعر العربي؟

أتمنّى له أن يسعى إلى التّجدّد باستمرار، وأن يجتهد كلّ شاعر في أن يتفرّد فلا يختار الكتابة السّهلة أو تكرار نماذج جاهزة.

بطاقة

شاعر ومترجم من المغرب (1955). له في الشّعر مجموعات عدّة، منها: «على دَرج المياه الغميقة» (1990)، «محفوفاً بأرخبيلات» (2001)، «فراشة مِن هيدروجين» (2008)، «رَجُلٌ يبتسم للعصافير» (2011)، «عيونٌ طالما سافرتْ» (2017).

فعاليات

يقدّم المعماري هادف سالم عند السابعة من مساء الخميس المقبل محاضرة افتراضية بعنوان **العمل الجماعي المتعدّد التخصّصات هو الاستراتيجية السليمة لحماية وتثمين التراث الثقافيّ والطبيعيّ في العالم العربي**. تقام المحاضرة بمناسبة إشهار مؤسّسة «تراثنا للدراسات والترميم» في الجزائر العاصمة.

مصر الفرعونية في حياتنا عنوان المحاضرة التي تقدّمها استاذة الآثار والباحثة المصرية **فايزة هيكل** عند السابعة من مساء الإثنين، السادس عشر من الشهر الجاري، في «المعهد الفرنسي للآثار الشرقية» بالقاهرة. تناقش الباحثة تأثير الفراعنة في اللهجة المصرية التي ما تزال تحتفظ بمفردات فرعونية حتى اليوم، وفي العديد من الالعاب الشعبية والعادات والتقاليد.

حتى مساء السبت المقبل، يتواصل في «المكتبة الوطنية» بالرباط معرض للمطبوعات المغربية منذ عام 1864 وصولاً إلى الاستقلال، افتُتح الإثنين الماضي. يحتوي المعرض على عناوين نادرة من أقدم المطبوعات بالمغرب، توثّق لبدايات الطباعة الحجرية التي احضرها إلى البلاد القاضي **محمد بن الطيب الروداني**.

تقيم «دار الأوبرا» في مسقط، عند السابعة والنصف من مساء الخميس، الثاني عشر من ايار/ مايو الجاري، حفلا لعازف البيانو والمؤلّف الروسي **الكسندر مالوفييف**، ترافقه فيه «أوركسترا تاتارستان الوطنية السيمفونية» تحت قيادة الموسيقي **الكساندر سلادكوفسكي**، ويتضمّن مقطوعات لكل من ليست ورحمانينوف.